

الذي سجله «بيير زيمّا» تجاه «البنوية التكوينية»، - كما بلورها «غولدمان» بشكل خاص - هو أنها كانت اتجاهاً نقدياً لا يُباشِرُ تطبيق مقترحاته النظرية حول الرواية بوسائل مُحدّدة، وإنما اعتماداً على حدس الناقد وفطنته الخاصة. وهذا يعني أن الناقد هنا يحتكم إلى ذوقه، وانطباعاته لتحديد المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها النص الروائي. يقول «بيير زيمّا» بهذا الصدد:

«إن التصور «الغولدماني» للبنوية التكوينية يَطْرَحُ مُشْكِلًا، ما دام لا يحيلنا على أية نظرية دلالية (Sémantique) يمكننا في إطارها، أن نحدد مفهوم المعنى في علاقته بالمستوى النصي الحكائي، أي التركيبي والدلالي»⁽¹³⁵⁾.

ويلاحظ «بييرزيمّا» بصورة إجمالية، أن النص يتوارى في التحليل البنيوي التكويني وراء الحضور المكثف للعناصر الخارجية، سواء كانت ذات طبيعة اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية⁽¹³⁵⁾.

إن التمييز الذي أشرنا إليه، والقائم بين سوسولوجيا الروائية، وسوسولوجيا النص الروائي، هو في الواقع تمييز نسبي فرضه التوجه الجديد الذي اتخذته سوسولوجيا الأدب بشكل عام عندما بدأت تستفيد من الدراسات اللسانية الحديثة. ولهذا فإن سوسولوجيا النص يمكن أيضاً وصفها بأنها سوسولوجيا أدبية، باعتبار أن هذه التسمية عامة، وشمولية، بينما لا يصح أن نقول إن كل سوسولوجيا أدبية هي سوسولوجيا نصية بسبب المميزات النوعية التي تختص بها هذه دون كل سوسولوجيا أدبية أخرى.

دور «باختين» في بناء سوسولوجيا النص الروائي

يُعدُّ «ميخائيل باختين» (Mikhail Bakhtine) أقرب سوسولوجي الأدب إلى بناء سوسولوجيا النص الروائي، بالشكل الذي أوضحه «بييرزيمّا» فيما بعد. على أن فهم الأطروحات التي وضعها «باختين» لدراسة النص الروائي، تقتضي معرفة الحمولة المنهجية التي تزخر بها مؤلفاته، فقد اعتبر «ميشال أكوكتوريه (Michel Aucouturier)» أن الاطلاع على هذه الحمولة ضروري لفهم آرائه النقدية حول الرواية خاصة⁽¹³⁶⁾.

وإذا نحن رجعنا إلى فلسفته اللغوية نجد في الواقع تحليلاً عميقاً لعلاقة اللغة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي. وهو يبيّن آراءه حول الرواية على أساس تحليل هذه العلاقة ذاتها. وسنحاول أن نتعرض للمعطيات المهمة في هذه الفلسفة لكي يسهل علينا تبّع

Pierre V. Zima: *Pour une sociologie du texte littéraire*. 10/18, 1978. P. 12.

(135)

Mikhail Bakhtine: *Esthétique et théorie du roman*. Gallimard 1978. P. 12.

(136)

انظر مقدمة ميشال أكوكتوريه خاصة